فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"

الرياء والعمل الصالح

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-76084.htm

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

كانوا أشد إخلاصًا

يقول أحدهم: دخلت على بشر الحافي –رحمه الله– في يوم من الأيام دون أن يشعر فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات جميلات، يقول الرجل: والله أنا لا أُحسن أن أُصلي مثلها، يقول ثم سمعته يقول دعاء في سجوده –إخواني أخواتي استمعوا إلى هذا الدعاء العجيب–، يقول الرجل: "فسمعت بشر يقول في دعائه وهو لا يشعر بي: "اللهم إنك تعلم وأنت فوق عرشك أن عدم الشهرة أحبُ إليَّ من الشهرة، اللهم إنك تعلم وأنت فوق عرشك أن الفقر أحبُ إليَّ من الغنى، اللهم إنك تعلم وأنت فوق عرشك أني لا أُقدم على حبك شيئًا".

يقول الرجل: فلما سمعته أخذني البكاء لإني لم استحمل هذا المشهد الرباني فأحس به بشر سمعه فقال بشر في دعائه بعد ذلك وهو يصلي:

"اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا الرجل هنا لم أتكلم بما تكلمت به"، الله أكبر. إن السابقين كانوا مع شدة إخلاصهم لا يحبون أن يشعر أحدٌ بعبادتهم وهذا بعكس المرائي الذي يحب أن يراه الناس على عبادته.

ما معنى الرياء؟

الرياء: هو أن يعمل العبد العمل من أجل أن يمدحه الناس أو أن يُكثر من العمل الصالح من أجل أن يكون مشهورًا عندهم بأحد هذه الأعمال الصالحة، كأن يشتهر عندهم أنه حافظ للقرآن أو أنه مصلٍ أو أنه صاحب علم شرعي، وبعضهم يُظهر العمل أمام أشخاص معينين طمعًا فيما عندهم، كمن يُظهر التقوى أمام المدير ليثق به أو يظهر التدين أمام بعض عملائه لكي يزيدوه مبلغًا عند البيع والشراء، أو أنه يريد أن يَعرف أهل خطيبته بأنه صالح ليزوجوه وهكذا.. المهم أنه لم يعمل العبادة لله تعالى خالصة بل مع وجود رغبة في أن يمدحه الناس هذا هو الرياء.

ما جزاء المرائي؟

ماذا سأخسر إذا وقعت في الرياء؟ أول شيء نخسره: هو العمل الصالح الذي تعبنا فيه سيذهب، فعندما يُجازي ربُنا العباد في الآخرة يقول للمرائين اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً، يعني أنهم لن يحصلوا على أي حسنة من وراء هذا العمل الذي كانوا يراؤون فيه، ولهذا قال ابن الجوزي –رحمة الله عليه–: "إذا لم تُخلص فلا تتعب" يعني لماذا تُتعب نفسك وتجتهد بلا حسنات إذا كنت مصرًا على الرياء، فلماذا تذهب

وتتكلف العبادة بأن تقرأ القرآن برياء، تصلي قيام الليل فتسهر وتتعب برياء بلا مقابل، وإذا صمت تعطش وتجوع ثم تُرائي فلا يُكتب لك أجر فلماذا كل هذا؟ ريَّح نفسك تعمل ببلاش بلا مقابل لماذا؟!

يقول مالك بن دينار –رحمة الله عليه–: "قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتعنى".

أخي الكريم، أختي الكريمة المصيبة في الرياء أن صاحبه يعمل ويتعب وفي النهاية أسأل الله العافية يُعذَّب، أما إذا أخلصت لله فسيقبل الله عملك وسوف تتلذذ به في الدنيا وستُؤجر عليه وفي النهاية سوف تدخل الجنة، ألا تلاحظون الفرق؟

ثاني شيء نخسره: الغريب العجيب في الموضوع أن المرائي سيخسر الناس الذين كان يعملُ لأجلهم، سبحان الله بعد كل هذه التضحيات التي ضحى بها من أجلهم عندما ضحى بحسناته وبأعماله من أجلهم، فإنه فوق هذا سيخسرهم! إي والله.. قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "من التمس رِضا اللهِ بسخَطِ الناسِ؛ رضِيَ اللهُ عنه، وأرْضى عنه الناسَ، ومن التَمس رضا الناسِ بسخَطِ اللهِ، سخِط اللهُ عليه، وأسخَط عليه الناسَ" صححه الألباني

وخسارة الناس ليست هي أعظم خسارة للمرائي، بل أعظم خسارة له على الإطلاق أنه سيخسر الله تعالى، ربُنا سبحانه غني وغيور، سبحانه غيور لا يرضى أن يكون معه أحدُ في العمل وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: أن الله تعالى يقول: "أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ، مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي، تركتُه وشركَه" صحيح مسلم.

ولو فرضنا الآن أن الملائكة نزلت، فرضًا يعني فقالت فلان مرائي لقد كان يعمل الأعمال الصالحة من أجلكم وليس لله لو حدث هذا فعلًا ماذا سيحدث سيسقط هذا الشخص من أعيُننا.

يوجد سؤال هزني عندما سمعته أريدكم لو سمحتم أن توجهوه لمرائي، السؤال هو لماذا تعمل عبادة من أجل مخلوق لو علم هذا المخلوق أنك كنت تعملها لأجله سقطت من عينه؟ ولماذا تترك الإخلاص للخالق الذي إذا علم أنك تعمل لأجله أحبك؟ فعلًا إنها مفارقة عجيبة.

ما هو علاج الرياء؟

أخي الكريم، أختي الكريمة ، الرياء مرض ويجب الإسراع في علاجه وإلا مات القلب من شدة هذا المرض، فما هو علاج الرياء؟ علاج الرياء يكون بتأمل المريض يوميًا للآتي:

أولًا: اعلم أن الناس لو مدحوك فإنهم في الحقيقة لم يمدحوك وإنما مدحوا ستر الله عليك، يعني أنهم مدحوا الستر الذي وضعه الله علينا، هذا الستر لو انكشف عنَّا لكان من المستحيل أن يمدحنا أي واحد منهم، تخيل لو أن هؤلاء الذين يمدحونني الآن عُرضت عليهم شاشة صغيرة فيها ذنوبي تظهر ذنب تلو الآخر، ذنب تلو الآخر، هل تظن أنهم سيستمرون في المدح؟

بالطبع لن يفعلوا معنا هذا أنهم كانوا طوال هذه المدة يمدحوننا بما وضعه الله علينا من ستر، إذًا هم في الحقيقة يمدحون الستر الذي أنزله الله علينا.

ثانيًا: الجرعة الثانية التي يجب أن يتناولها مريض الرياء هي أن يعلم أن الناس لم يمدحوه هو وإنما قد مدحوا الله تعالى، صحيح أنهم قالوا عنك أنت أنك عابد أو أنك كريم أو أنك خلوق ولكن هم فى الحقيقة كانوا يمدحون الله كيف؟ اسأل نفسك مَن الذي أعطاك هذه الفضائل أصلًا؟ الجواب في سورة النحل..

قال تعالى: "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ..." النحل: ٥٣ فكيف تُرائي بشيء ليس لك؟ يعني لو فرضنا أن جارك أهدى إليك طعامًا، فوضعته للضيوف فأعجبهم هذا الطعام جدًا فصاروا يمدحون حُسن طبخك لهم وإتقانك أنت في صنعه فما هو موقفك؟ إذا كنت صادقًا فسوف تقول لهم إنك لست صاحب الفضل في صُنع هذا الطعام، لست أنت الذي صنعته هو أنت متيقن من هذا في قلبك، فإن نسبته إليك كان هذا من الخداع والكذب، أما إذا صدَقْت نفسك بأنك طباخ ماهر وإنك أنت فعلًا الذي صنعت هذا الطعام هذا والله شيء غير طبيعى.

قال الله تعالى : "بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ*وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ " القيامة:١٥: ١٤، تخيل معى شخصًا بيده أعزكم الله بعرة والناس يقولون إنها تمرة فى يدك تمرة فأكلها الله المستعان !!! سؤال ما هو سبب وجود حب المدح فى قلوبنا، لماذا نحب أن يمدحنا الناس؟

لماذا نُعلق قلوبنا بالناس؟!

باختصار إنه تعلق قلوبنا بالناس، فوالله ما أصابنا من الإدمان على المدح والحساسية من الذم، إلا بسبب أننا جعلنا للناس في قلوبنا اهتمامًا أكثر من قدرهم أكثر بكثير من قدرهم الذين يستحقونه، لقد جعلنا لهم مكانة وهمية كان من الأولى أن نُقدمها لله تعالى، فإن المُخلص إذا قطع طمعه بالناس الذين يمدحونه لم يتاثر بمدحهم ولا بذمهم، لإنك إذا استغنيت عن إنسان فمهما مدحك فلن يُغير فيك شيئًا ومهما ذمك فلن يُزعجك أبدًا لإنك لا تعبأ به أصلًا، ألا ترى أنك لو بلغك في عملك الصباحي أن الكناس الذي يكنس مكتبك يذمك لن تعبأ به ولن تهتم بما قال، ولو بلغك الخبر بأن المدير يذمك لاختلف شعورك تمامًا لماذا؟ لإن رغبتك في رضا المدير أعظم بكثير من رضا الكناس بل إنها لا تقارن به.

الشرك الخفي

حارب الرياء لا تتركه يُسيطر عليك فأنت عبدٌ لله، أنت لا تعبد الناس ولا تعملُ لأجلهم، هذا يُعتبر نوع من أنواع الشرك وكثيرٌ من الناس يستبعد أن يقع في الشرك، مع إنه يوجد نوع من أنواع الشرك منتشر بين كثير من المسلمين، مسلمون ويقعون في الشرك ما هو؟ إنه الرياء الذي سماه النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– الشرك الخفي، لإنه يخفى على كثير من الناس هذا النوع كان أكثر شئ يخافه النبى صلى الله عليه وسلم علينا حتى أنه قال:

"إنَّ أخوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغرُ (الرياء)" صححه الألباني.

لإن أكثر شيء يكرهه الله تعالى هو الشرك فمن صرف العبادة لغير الله تعالى فقد أشرك، ولا يظن الإنسان أنه في أمان من هذا الشرك، إبراهيم –عليه السلام– دعا ربه دعوة لو تفكرنا بها لما أمن الإنسان على نفسه بعدها، ورد في سورة إبراهيم أن إبراهيم –عليه السلام– دعا ربه فقال: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ" إبراهيم: ٣٥ ، سبحان الله!!! إبراهيم أبو الأنبياء يخاف أن يعبد الأصنام، يخاف أن يقع في الشرك ماذا نقول نحن!.

خطة شيطانية أُخرى

وإذا بدأت بترك الرياء فإن الشيطان سيُغير خطته معك، لإنه رآكَ الآن مُخلص قد أغلقت عليه باب الرياء، فبدلًا من أن يقترح عليك شيئًا لن تقبله وهو الرياء، سيبدأ بتشكيكك في الإخلاص، فبعض الناس دائمًا يُشعر بأنه يُرائي، يُرائي دايمًا يقول له الشيطان أنت لست مُخلصًا أنت مُرائي وهو قد تعب من ذلك فماذا يفعل؟

توجد ثلاث أسئلة إذا أجبناها انحلت المشكلة:

السؤال الأول: عندما تفعل عبادة من العبادات هل أنت الذى تُقرر هل تُرائي أو تُخلص أو أن الشيطان هو الذي يُقرر بالنيابة عنك؟ من الذي يملك قرار الإخلاص أنت أم الشيطان؟ الجواب: أنا طبعًا، طيب إجابة صحيحة.

السؤال الثاني: هذا الذي يوسوس لك الآن ويقول لك أنت مُرائي أنت مُرائي ويُفسد عليك خشوعك في العبادة هل هو ملك من الملائكة أم شيطان من الشياطين؟ الجواب: لا شك أنه شيطان من الشياطين، ما شاء الله حسنًا.

السؤال الثالث: في العبادة هل سيُحاسبك الله على قرارك أم على وسوسة الشيطان لك؟ الجواب: طبعًا سيُحاسبُني على قراري وليس على وسوسة الشيطان.

إذًا يا أخي إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تخاف من شيء لن يُحاسبك الله عليه؟! دعه يوسوس إلى أن يحترق ما الذي يُهمك! يا جماعة لا يوجد رياء غصب على الإنسان إذا أردت أنت أن تُرائي سُترائي، وإذا أردت ألا تُرائي فلن تُرائي انتهى الأمر. هل تعلم ما هو الدليل على أنك لست بمُراءٍ؟ الدليل هو أنك متضايق من هذا الشعور ولو كنت مُراءٍ بالفعل لِما تضايقت من هذا الرياء، المرائى يريد الرياء فلماذا يتضايق من شعور الرياء؟ ولكن لأنك لا تريد الرياء لهذا أنت متضايق، فلا تهتم بالشيطان لإنك إذا اهتممت به كبُرَ في قلبك، إنوِ أنت الإخلاص، ووالله لو قال الشيطان أنت مُرائي ألف مرة فلن تكون عند الله مرائيًا، والحمد لله انتهت المشكلة.

اللهم تقبل منا عباداتنا، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه، اللهم اجعلنا من المخلصين واقبلنا برحمتك وأنت ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36